الصور الإحالية في سورة (ق)
وأثرها في توجيه المعنى

د.حسين عودة هاشم
جامعة البصرة/ كلية التربية / قسم اللغة العربية

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على من بعث هاديا للعالمين مؤيدا بالكتاب المبين الذي لم يجاريه أحد من الثقلين محمدا صلى الله عليه وآله الطيبين الطاهرين وأصحابه المخلصين وبعد ....

تعد الروابط في كل لغة عناصر مهمة من عناصر بناء النص ولكل لغة روابطها الخاصة بها والتي لولاها لما تماسك النص ولما عرف المقصود منها ولغتنا العربية كأي لغة أخرى فيها العديد من وسائل الربط التي تتفرد ببعضها وتشترك مع غيرها من اللغات في البعض الآخر وقد توقف اللغويون والنحويون القدماء منهم والمحدثون عندها ولكون الغرض من البحث ليس الوقوف عند التنظير لهذه الروابط وإنما الوقوف على دقة استعمال هذه الروابط في المكان المناسب لها من النص والذي لولاها لما كان النص بهذه الدقة ولكون القرآن الكريم يعد دستور العربية وأفصح وأدق نص اعتمدنا عليه في بيان أهمية الروابط من خلال نص قرآني مبارك وهو سورة (ق) كما أننا لم نأخذ من الروابط سوى تلك التي تحيل إلى شيء قبلها أو بعدها والتي تعد وسيلة اختزال في المعنى ولذلك أطلقنا على البحث اسم (الصور الإحالية في سورة (ق)وأثرها في توجيه المعنى) فكانت خطة البحث على مبحثين الأول مبحث تنظيري تناول البحث فيه الإحالة وأنواعها وأهميتها في الدراسات اللغوية ،أما الثاني فكان مبحث تطبيقي والذي من خلاله يتبين أثر هذه العناصر في إضفاء ظلال دلالية لم تكن توجد لولا استعمال هذه العناصر وبهذا المبحث يتحقق الجزء الثاني من العنوان وهو (الأثر في توجيه المعنى) وقد تناولت فيه البنية الإحالية للضمائر الواردة في سورة (ق) فقط ولذلك انحصرت على ضمير المتكلم بأنواعه وضمير الغائب ،ثم تناول البحث البنية الإحالية لأسماء الإشارة وللأسماء الموصولة وقد توصل البحث إلى نتائج تم عرضها في البحث وما هذا البحث إلا محاولة لبيان دقة هذه اللغة العظيمة التي اختارها الله لكتابه وبيان دقة النظم القرآني والذي من خلاله يتبين جانب من جوانب إعجاز القرآن الكريم وأخيرا أقول ما علي إلا السعي وقد سعيت ومن الله التوفيق

الإحالة

نص عبد القاهر الجرجاني على وجود علاقات وثيقة بين عناصر النص الواحد فمفردات النص بعضها يحكم البعض الآخر وتعمل جميعها على إيجاد نوع من الانسجام والتماسك بين عناصر النص[١] وتشكل الروابط المختلفة جزءا أساسيا من تلك العناصر إذ أنها وسائل لغوية تعمل على تنظيم عناصر عالم الخطاب [٢] وتعد الروابط الاحالية قسما مهما لإيجاد الانسجام والاتحاد بين عناصر النص ،ونعني بالروابط الاحالية الضمائر وأسماء الإشارة والأسماء الموصولة ،أي عنصر يحتاج الى مفسر يوضحه ويبين معناه وقد كان للنحاة وقفة عند هذه العناصر[٣]، كما كان للغويين المحدثين تفصيلا فيها فقد عرف (تنير) الإحالة ((إنها ربط دلالي إضافي)) [٤] اما (كلماير) ((أنها العلاقة القائمة بين عنصر لغوي يطلق عليه عنصر العلاقة وضمائر يطلق عليها الإحالة)).[٥]

١- ينظر دلائل الإعجاز ، الجرجاني ٥٣
٢- ينظردراسات لغوية تطبيقية ،سعد حسن ٧٨
٣- ينظر الكتاب ٣٩٥/١
٤- ينظر نسيج النص ،الازهر زناد ١٢٢
٥- ينظر دراسات لغوية تطبيقية ٨٢

ISSN-1994-697X

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

انواع الاحالة

للإحالة نوعان نوع يأخذ بعين الاعتبار اتجاه الإحالة والآخر نوع المفسر ولنا في كل نوع تفصيل

النوع الأول : تقسم الإحالة من حيث اتجاهاتها أي من حيث عودتها إلى المفسر على قسمين:

١-الإحالة إلى سابق أو متقدم وذلك عندما يعود العنصر المحيل على عنصر لغوي متقدم حيث تعود على مفسر سبق التلفظ به ،وبها يجري تعويض لفظ المفسر الذي كان من المفسر الذي كان من المفترض أن يظهر حيث يرد المضمر . إلا أن الزناد يرى غير ذلك بل ان المضمر يعوض لفظ المفسر المذكور قبله فتكون الإحالة بناء للنص على صورته التامة التي كان من المفروض.

أن يكون عليها فهي تحليل جديد له من حيث هي بناء جديد له[١] ويدخل ضمن هذا النوع من الإحالات الإحالة بالتكرار أي تكرار لفظ أو عدد من الألفاظ في بداية كل جملة من جمل النص

٢- الإحالة إلى لاحق أو متأخر وذلك عندما يحيل عنصر لغوي إلى عنصر لغوي آخر تال له ومن ذلك ضمير الشأن في العربية. [٢]

النوع الثاني : وينقسم هذا النوع إلى قسمين :

١- إحالة معجمية :وهي تجمع كل ما يعود على مفسر دال على ذات أو مفهوم مفرد وهي متوفرة في كل النصوص

٢- إحالة نصية مقطعية وهي تجمع كل ما يعود على مفسر (مقطع) من ملفوظ (جملة أو نص أو مركب نحوي) وهي تتوفر في بعض النصوص دون أخرى.[٣]

هذان القسمان من الإحالة يتعلق بالعناصر اللغوية داخل النص وهناك قسم آخر من الإحالة يسمى بالإحالة الخارجية وهي ترتبط بأنواع محددة من النصوص وتحتاج إلى جهد كبير للكشف عنها وإيضاح كيفيتها وتأويل العنصر غير اللغوي الذي يحكمها الذي يقع خارج النص ويستعان في تفسيره بالسياق أو المقام الخارجي والإشارات الدالة عليه،[٤] وفضلا عما قدمنا من تعاريف للإحالة نجد أن الدراسات الحديثة بقر زوت هذا الموضوع لما له من ((دور بارز في إنشاء التماسك الدلالي للنص))[٥] ومن ابرز الدراسات التي اهتمت بهذا الموضوع دراسة فايتريش الموسومة ب(نظرية الأداة) ودراسة هارفيج (نظرية الاستبدال) ودراسة ريناته شتايتش (نظرية الاسترجاع) و(دلالة الإحالة) لفوندريش) و(التكرار) لوايرنابلرن بوصفه قيدا للتماسك في النص وبعد هذا العرض يمكن أن نلخص المفاهيم الأساسية الخاصة بعناصر الإحالة بصورة مجملة دقيقة معتمدين على ملخص الدكتور سعد حسن.

* ***العنصر الاحالي*** :هو كل مكون يحتاج فهمه إلى مكون آخر يفسره وهو يمثل ابسط عنصر في نسبة النص الإحالية.

*** النصر الاحالي المعجمي**

يعود على مفسر له ،يدل على ذاته أو مفهوم مجرد.

*** النصر الاحالي النصي**

يعود على مكون مفسرله يمثل مقطعا من نص وهناك فروق بين العناصر الإحالية المعجمية والناصر الإحالية النصية فالعناصر المعجمية عددها كبير في المعجم ونظامها محكم في عمله وبإجراء عملية إحصاء بسيطة للضمائر وأسماء الإشارة وعلامات المطابقة والموصولات الاسمية والأحكام الموجودة في نظام كل واحد منها في النظام الذي يجمعها في النحو بثبات ذلك فهي عناصر ضرورية لا يمكن الاستغناء عنها .

١- ينظر نسيج النص ١١٩.
٢- ينظر دراسات لغوية تطبيقية ٨٨.
٣- ينظر دراسات ٨٨ ونسيج النص١١٨،١١٩.
٤- ينظر دراسات ٨٨.
٥- الصدر نفسه ٨٨ .

ISSN-1994-697X

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أما العناصر الإحالية النصية فعددها محدود في المعجم ولم تخصها اللغة بنظام تركيبي يحكم استعمالها وإنما تجري مجرى الأسماء الصريحة ولكنها تتميز من حيث الدلالة عن تلك الأسماء بفراغها وهي بذلك توافق المضمرات فلا يتحدد محتواها إلا إذا ربطت بما يفسرها فهي (مضمرات) ولكنها لا تكون إلا مقطعا من ملفوظ وهي في هذا اخص منها إذ يمكن أن يعود الضمير أو احد المضمرات على مقطع من الملفوظ [١] وهكذا لا يخرج العنصر الإحالي عن كونه عوض عن مكون آخر ذكر في موضع آخر سابق أو لاحق ولغتنا العربية مليئة بهذه العناصر ألا أن نظام الإحالة فيها فيه الكثير من الصعوبات منها تعدد المحال إليه في الإحالة النصية بوجه خاص واختلاف النحاة في التفسير التركيبي والدلالي لعنصر الإحالة وغموض هذا النظام وخفاء العلاقة بين العنصر الإحالي والعنصر الإشاري حيث يتعذر تحقق المطابقة في الجنس والعدد ، وبعد هذا العرض النظري ننتقل إلى الجانب التطبيقي لعناصر الإحالة متخذين النص القرآني نقطة انطلاقنا متوقفين عند سورة (ق) الكريمة مبينين الصور الأحالية الواردة فيها وأثرها فقي إثراء الدلالة.

المبحث الثاني

البنية: الاحالية للضمائر

سنتناول في هذا المبحث البنية الإحالية للضمائر وتضم هذه الدراسة ضمائر الغيبة والمتكلم والخطاب والصور التي وردت عليها مبتدئين بضمير المتكلم ثم الخطاب ثم الغيبة معتمدين في ترتيبها درجتها في التعريف.

اولا : ضمير المتكلم :

لقد عد النحاة الضمائر من المعارف إلا أنها مبهمة لكونها تقع على كل شيء من حيوان وجماد وغيرها ولا تختص بقسم دون غيره ولعدم وضوحها ونقصان دلالاتها وحاجتها إلى مفسر يوضحها. [٢]

وقد وضع النحاة ضمير المتكلم في المرتبة الأولى في سلم التعريف ثم المخاطب ثم الغيبة لان ضمير المتكلم والمخاطب يفسرهما وجود صاحبهما وقت الكلام فهو حاضر يتكلم بنفسه أو حاضر يكلمه غيره مباشرة أما ضمير الغيبة فصاحبه غير معروف لكونه غير حاضر ولا مشاهد ولذلك لا بد له من مفسر يفسره ويوضح المراد منه وقد اتخذ هذا الضمير (أي للمتكلم في سورة ق) في القرآن الكريم أشكالا متعددة مرتبطا بصيغ وأبنية مختلفة ليسهم في إثراء الدلالة في النص وإحكام نسجه وفيما يلي عرض للصور التي ورد عليها.

*الضمير (نا)

ورد الضمير (نا) عشرين مرة في السورة إلا أن اتصاله بالأبنية الأخرى لم يكن واحدا ،إذ اتصل بالفعل (١٤) مرة اثنتا عشرة مرة متصلا بالفعل الماضي ومرتان متصلا بالفعل المضارع ونجد أن هذا الضمير يعود على محيل إليه خارجي وهي الذات الإلهية للإشارة إلى انفراد الله تعالى بهذه الأفعال وليس لأحد غيره القدرة على أن يشاركه فيها باستثناء الاية [٣] التي يعود فيها الضمير على الكفار وفيه إشارة أيضا أو تعريض إلى فاعل الموت وهو الله تعالى : ((أاذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد)).

نلاحظ هنا أن الضمير (نا) المتصل بالفعل (مات) يعود على محال إليه مذكور سابقا ثم اتصل الضمير (نا) أيضا بالفعل كان للإشارة إلى المحال إليه نفسه فبنية النص واحدة وهذا المحال إليه هو المفسر أو المبين للمقصود في الضمير (نا) ووردت الآية بهذا التركيب أي (فعل +نا +فعل +نا) يتناسب مع موقف الكفار الوارد في السورة المتمثل في تعجبهم من إرسال رسول منهم إذ إن حالة التعجب تعبر عن حالة نفسية غير مستقرة أو ثابتة ودلالة الأفعال تدل على الحدوث والانتقال[٤] أما بقية الآيات فجميعها تعود على الذات الإلهية للسبب الذي ذكرناه سابقا إذ وردت الأفعال (علم ،وبنى،وزين ،ومدد ،ونرسل ،وانبت ،وإحياء عيسى ،وخلق

١-ينظر ١٣١،١٣٢ ى،kollmeyepci t نقلا عن دراسات لغوية.
٢- ينظر شرح المفصل ،ابن يعيش ٨٦/٥،٨٧.
٣- ينظر البحر المحيط ،ابو حيان الاندلسي ٤٨٠.
٤- ينظر البحر المحيط ٤٨٠.

ISSN-1994-697X

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

،وكشف ،وخلق) فجميعها متصلة بالضمير (نا) العائد على الذات الإلهية وهذا الضمير يدل على التفخيم والتعظيم أولا ثم يدل على انه تعالى هو المنفرد بهذه الأفعال فالعلم عنده وحده.

وبناء السماء وتزينها مختص به وحده ومد الأرض وتثبيتها بالرواسي وإنزال الماء من السماء وإحياء الأموات وكشف الغطاء كلها أفعال لا يستطيع احد أن يشارك الله فيها وكلها أفعال تدل على عظمة الله ، ولو وردت هذه الآيات بنسيج آخر لاختلف المعنى المراد ، فضلا عن تناسب النسيج مع جو السورة العام الذي يدور كله حول إثبات عظمة الله وتفرده وبيان قدرته وإبطال مزاعم الكفار فضلا عما يشكله توالي (نا) المتكلم المتصل بالفعل من تناسب لفظي ووحدة نظمية تعمل على جعل النص وحدة واحدة لا يمكن فصل بعضه عن البعض الأخر فعودة الضمير (نا) إلى محال إليه واحد يجعل الآيات جميعها تشكل آية واحدة تفصل قدرة ذات واحدة ولو عدل عن ذلك لما تمت الصوري بهذا الشكل ، فضلا عن ورود الضمير (نا)متصلا بالظرف العائد على المحال إليه المتصل بالفعل نفسه زاد من تماسك النص ووحدة موضوعه مفقد قال تعالى ((قدعَلِمْنَا مَا تَنقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ))[١] وقال تعالى ((لَهُم مَّا يَشَاؤُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ))[٢] وكذلك الحال بالنسبة لاتصال عنصر الإحالة (نا) بحرف الجر ،اذ قال تعالى ((إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ))[٣] نجد.

نسيج النص كالأتي (إن + نا +نحن +فعل +فعل +حرف جر +أي إن + عنصر إحالة +عنصر إحالة +فعل (فيه عنصر إحالة مستتر) + فعل (فيه عنصر إحالة مستتر +حرف جر +عنصر إحالة) واجتماع عناصر الإحالة هذه مؤكدة ب(إن) فيه دلالة على تفرد وعظم الأفعال الواردة في السورة وهي كذلك لان الله تعالى وحده المحي والمميت وتعد هذه الآية خلاصة الأفعال التفردية الواردة في هذه السورة المباركة لأن الفعل (انبتنا) فيه دلالة على إعطاء الحياة وقد تكرر مرتين والفعل _أحيينا)صريح بتلك الدلالة و(خلقنا) هو عملية إحياء فجاءت النتيجة في النهاية متخذة هذا النظم البديع وكذلك فعل العلم بدأه ب(علمنا) وانتهى (نحن أعلم بما يقولون) للدلالة على أن العلم الإلهي علم ثابت غير منقطع فعدل عن بنية (الفعل +نا) إلى بنية (نحن الدالة على الذات الإلهية +اسم التفضيل (أعلم) +الصلة والموصول)ولكون أحداث هذه السورة تدور حول إثبات عظمة الله وتفرده نلاحظ استخدام الضمير (نا) و(نحن) الدالين على الجمع للتفخيم وتعظيم الخالق ولكي تتناسب والجو العام للسورة .وفي كل النصوص السابقة نجد عنصر الإحالة يحيل إلى محيل إليه خارج النص وهذا هو شأن النص القرآني إذ أن عامل الإحالة فيه يعمل على مستوى خارجي يقوم على وجود ذات المخاطب خارج النص وهي ذات الله تعالى فهي الذات المحورية التي تدور حولها كل الذوات الأخرى الواردة في النص ولذلك تكون كل الإحالات اللغوية التي يعمل فيها عنصر الإحالة في المستوى الداخلي متداخلة مع الإحالة الخارجية تداخلا شديدا يصعب فصله.[٤]

*الاحالة الى ضمير الغائب

نجد في هذه السورة ضمائر الغائب فيها تقسم على وفق مجاميع كل مجموعة فيها تعمل على بناء وحدة موضوعية ونظمية للحدث المراد إبرازه فالمجموعة الأولى تعمل على بيان حال الكفار إذ تبتدئ من قوله تعالى ((بَلْ عَجِبُوا أَن جَاءهُمْ مُنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ))[٥] مرورا بقوله تعالى ((عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ))[٦] وقوله تعالى ((بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَّرِيجٍ))[٧] ففي هذه الآية نجد الضمير (هم) يرجع إلى عائد عليه واحد وهم الكفار المتعجبون من إرسال رسول منهم ففي الآيتين كانت قاعدته التجريدية (أن +فعل +عنصر إحالة +اسم +عنصر إحالة آخر)فتكرار ضمير الإحالة بصورتين.

١- ق ٤.
٢- ق٣٥.
٣- ق٤٣.
٤ – ق ٦-٧.
٥- ق ٩.
٦- ق ١٠.
٧- ق ٣١.

ISSN-1994-697X

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مختلفتين فيه تأكيد لان التكرار ضرب من التأكيد إلا أن الصورة الأولى (جاء + هم)وقع الضمير (هم) فيها في محل نصب مفعول به أي أن الإرسال وقع عليهم في حين انه في الصورة الثانية (من +هم) فيه معنى الجنس توكيدا على أن المنذر ليس من غيرهم إذ لو كان الكلام (إن جاءهم منذر فقال الكافرون هذا شيء عجيب) لدل على ان المنذر ليس من قومهم أو من جنسهم ولبطل معنى التعجب الذي وقعوا فيه ولكون الموضوع يخص هؤلاء الناس استمر في استعمال الضمير (هم) مسبوقا بحرف الجر (من) ثم جاءت الخاتمة لهؤلاء فعدل عن صورة (من+هم) الى (ف +هم)الذي يعود على الكفار ليؤكد وقوعهم في الحضور وإنهم في أمر مريج.

أما القسم الثاني من استعمال ضمير الغائب :هو القسم الخاص ببيان أدلة وجود الله وبيان عظمته فبعد ان بين الله تعالى كذبهم بدأ يعرض الأدلة على عظمة وجوده فقال تعالى ((أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاء فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ)) [١] وقوله تعالى ((وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكاً فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ))[٢] وقوله تعالى ((وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ))[٣] فالرابط بين هذه الايات والقسم الأول هو الضمير (هم) المتصل بالظرف (فوق) المبين لواو الجماعة في الفعل (ينظر)الذي لولاه لما عرف المقصود ب(واو الجماعة) هم أنفسهم المقصود ون في الآيات الاول ثم بعدها عرض للأمم السابقة ثم خلق الإنسان ثم بيان حال أهل الجنة وأهل النار فبعد أن قال ((وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ)[٤] قال ((ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ{٣٤} لَهُم مَّا يَشَاؤُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ))[٥] فالضمير في ادخلوها يعود على الجنة والضمير (هم)في (لهم)يعود على أهل الجنة أي التقين الذين ورد ذكرهم وفي هذا تأكيد وحتمية دخول المتقين وبعدها عاد سبحانه إلى الإخبار عن أحوال الأمم السابقة الهالكة منها وخلق السماوات والأرض وأهوال يوم القيامة لينتهي بقوله ((يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعاً ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ))[٦] في قوله (عنهم) ربط أول النص بآخره لا لأن (هم) الوارد هنا يشمل جميع من تحدث عنهم الله تعالى فشملت كل الذوات الواردة في النص أي انه ينتمي إلى القسم الثاني من مستوى الإحالة وهو المستوى الداخلي.

اسم الاشارة

اسم الإشارة اسم مبهم ويرجع سبب إبهامه لوقوعه على كل شيء أو لأنه لا يخص شيئا بعينه [٧] وهي تؤدي معنى الفعل ولذلك عملت في الأفعال [٨] أما معرفته فقد اكتسبه من صحة وقوعه مسندا إليه ،والإشارة المتحققة نوعان :

١.ق ٣٤-٣٥.
٢.ق ٤٤.
٣.ينظر المقتضب ٨٦/٣.
٤.ينظر شرح المفصل ٢٦/٣.
٥.ينظر النحو الوافي .
٦.ينظر اقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة ،د فاضل الساقي ١١٦.
٧.شرح المفصل ١٣٧/٣، وينظر المفصل في صناعة الإعراب ٤١١/١ وشرح ق طر الندى ١١/١.
٨. ينظر شرح المفصل ١٣٤/٣.

ISSN-1994-697X

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

حسية ومعنوية ،وهناك فرق بين البنية الاحالية باسم الإشارة حين تكون حسية وبينها حين تكون حسية وبينها حين تكون معنوية سواء تعلق ذلك بالمحال إليه أو باتجاه الإحالة (إحالة إلى متقدم أو متأخر) أو بالوظيفة التي يؤديها كل نوع منهما[١] ، وهذه الأسماء تحتاج إلى مفسر أو مبين يوضحها ويزيل ابهامها وهي بهذا تشترك مع الضمائر ولذلك عدت عند النحاة المحدثين نوعا من الضمائر،[٢] فلفظ هذه الأسماء إذن غير كاف لأداء المدلول منه دائما يلزمه مفسر يوضحه وكما أن الضمائر مبنية قال النحاة ببناء هذه الأسماء لشبهها الحرف من ناحية المعنى أي انه لما استفيد من هذه الأسماء ،الإشارة الى شيء علم أن لها حرفا وانه لم ينطق به فبني كما بني من وكم وقيل انها مبنية لشبهها الضمير[٣] وقد تكون بنيت للافتقار إلى الغير.

ما يلحق بهذه الضمائر

تضاف (ها) لاسم الإشارة وتسمى هذه (ها التنبيه) أي أنها تعطي معنى التنبيه ،يقول ابن يعيش (اعلم أن –ها- كلمة تنبيه وهي على حرفين ك (لا وما) فإذا أراد تعظيم الأمور والمبالغة في إيضاح المقصود جمعوا بين التنبيه والإشارة وقالوا هذا وهذه ف-ها- للتنبيه وذا للإشارة والمراد تنبيه أيها المخاطب لمن أشير إليه ، وتسقط ألفه في الخط لكثرة الاستعمال وهي ثابتة لفظا)[٤]وتتصل بها أيضا (الكاف) وهي كاف الخطاب أي أنها تفيد الخطاب دون الاسمية لأنها لو كانت باقية على أسميتها لكان لها موقع من الإعراب أما رفع أو نصب أو خفض وذلك مقنع هنا ولذلك اجمع النحاة على انها للخطاب فقط دون الاسمية [٥] وهذا يعني أنها حرف ولذلك يقولون (ذانك وتانك ،دون حذف النون للإضافة [٦] أما المعنى الذي يفيده هذا الحرف هو شبيه بمعنى الضمائر وخاصة ضمير الشأن إذ يقول ابن يعيش موضحا الفرق بين كاف الخطاب والكاف (الضمير) بعد تمثله بقوله تعالى ((قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَـذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلاَّ قَلِيلاً))[٧] فإذا قلت لك أو إليك لا يحسن أنم يقال للمعظم من الناس هذا ولا إليك ويحسن لن يقال : قد كان ذلك وهو كذلك[٨] وصور الخطاب التي يعطيها الكاف متعددة تبعا لأحوال المخاطب .

وهي لغة الإفراد في كل حال من أحوال المخاطب تغليبا الواحد المذكر[٩] أما اللام فزيدت على هذه الأسماء لتدل على بعد المشار إليه[١٠] وحركتها الكسر للتخلص من التقاء الساكنين وامن اللبس إذ إن فتحها يجعلها تلتبس بلام الملك وهكذا فان ورود اسم الإشارة (ذا) دون لواحق يدل على القريب وحين تدخل الكاف يتغير استعمالها من القريب إلى (المتوسط) فيقال (ذلك) أما تركيب (ذا + لام +ك) فيستعمل للبعيد [١١] أو المخاطبين فتختلف حركة الكاف بين الفتح والكسر[١٢] لان الحركة إشارة تشترك مع علامة العدد (الفرد والتثنية والجمع) في توضيح أحوال المخاطب فعند مخاطبة المذكر قال تعالى ((ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ))[١٣] ومثال مخاطبة المؤنث ((قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْراً مَّقْضِيّاً))[١٤] ومثال مخاطبة المثنى ((ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ))[١٥] وهكذا الحال بالنسبة للجمع بنوعيه وهذا هو

١.ينظر شرح المفصل ١٣٤/٣.
٢.الإسراء ٦٢.
٣.ينظر شرح المفصل ١٣٤/٣.
٤.ينظر شرح المفصل ١٣٤/٣.
٥.يوسف ٥٢.
٦.مريم ٢١.
٧.يوسف ٣٧.
٨.ينظر شرح المفصل ١٣٥/٣.
٩.ينظر شرح قطر الندى ١١١/١.
١٠.ينظر شرح المفصل ٤١/٣.
١١.ينظر نسيج النص ١٢٤/٣.
١٢- ق ٣.
١٣- ق ١١.
١٤- ق ٢٠.
١٥- ق ٣٤.

ISSN-1994-697X

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الشائع عند النحاة والغالب في الاستعمال إلا أن لها لغة أخرى وقد استعملها القرآن الكريم فاللواحق إذن أضافت معان دلالية لم تكن موجودة واللواحق الداخلة على هذا العنصر الاشاري تعتمد على المفسر فإذا كان قريبا لم يدخل على العنصر الأحالي شيء وان كان متوسطا في البعد دخلت الكاف وان كان بعيدا دخلت اللام والكاف ولهذا العنصر الأحالي بكل مراتبه دور مهم وفعال وفعال في ترابط النص وتماسكه إذ انه يربط بين عناصر الجملة الواحدة وأحيانا يتجاوزها ليربط بين سائر جمل النص فيربط بين عناصر منفصلة ومتباعدة من حيث التركيب النحوي وفي الاستعمال القرآني نجد اختلافا في دلالة الإشارة للضمير (هذا).

وتتحدد دلالته طبقا لصورة هذا العنصر وإحالته إلى متقدم أو متأخر فقد يفيد التعظيم أو التفخيم أو التعجب وفيما يلي عرض لصور اسم الإشارة في سورة (ق) المباركة والتي يمكن حصرها في مستويين :

المستوى الأول : الإشارة إلى متقدم أي أن المفسر يكون سابقا لهذا العنصر الاحالي ونجده في قوله تعالى ((أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ)) [١]ف(ذلك) تعود على عملية موتهم وكونهم ترابا ولكون عملية الإحياء عندهم بعيدة استعمل القرآن الكريم تركيب ل (ذا +لام +ك) وهذا التركيب يدل على البعد وهكذا وافق اللفظ المعنى ومنه قوله تعالى ((رِزْقاً لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتاً كَذَلِكَ الْخُرُوجُ))[٢] نلاحظ هذا العنصر الاحالي تكون من (ك+ ذا +ل+ك) فكاف التشبيه عنصر احالي إشارة إلى معنى التشبيه إلا أن استعمال اللام والكاف المتصلة باسم الإشارة لم يكن ليدل على بعد المفسر فقط وإنما تدل على عظمة ذلك الشيء أي عظمة عملية الخروج من الأجداث وتفرد الخالق بها ولكون عملية اتصاله بكاف التشبيه الذي قوى صلة الإشارة وشكل تشابها أو مماثلة بين الفعل السابق لها والفعل اللاحق لها [٣] وكذلك من دلالات عودة هذا العنصر الاحالي اذا كان عائدا على متقدم التعظيم والتفخيم كما في قوله تعالى ((وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ))[٤] وقوله تعالى ((ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ))[٥] وقوله تعالى ((يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ))[٦] فجميع اسماء الاشارة هنا تعود على مفسر متقدم وجميعها تشير إلى يوم القيامة وهو يوم عظيم ولعظمة ذلك اليوم استعمل (ذا +لام +ك) هذا التركيب الذي فيه معنى البعد والبعد هنا حاصل عند الكافرين إما المؤمنون فليس عندهم ببعيد ولكن عنده يوم عظيم ولذلك جمع في هذا التركيب المعنيين وللفريقين وبتكرار هذا العنصر حصل الترابط والتماسك بين أجزاء النص إذ جميعها تشير إلى يوم القيامة ولكن بصور مختلفة .

المستوى الثاني : الإشارة إلى متأخر ومنه قوله تعالى ((هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ))(٦) ف(هذا) اشارة الى كل ما تقدم وجمع فيه نتيجة الاعمال السابقة فبدلا من التكرار اختزل في هذا العنصر الاحالي جميع المعاني التي ضمتها الجمل السابقة لها وعلى هذا فان للعنصر الاحالي هذا وظيفة الاختزال ونلحظ أيضا انه استعمل (هذا) ولم يستعمل (ذلك) لإرادة معنى التقريب لأنه يريد أن يخبرهم بأن ما توعدون قريب جدا فالذي يوعد بالجنة يجدها قريبة جدا وليست ببعيدة فضلا عن معنى التعظيم أيضا لان هذا المستوى الذي تكون صورته ب(عنصر احالي +مفسر) يدل على التعظيم وهكذا كان دور هذا العنصر الاحالي كبيرا اذ انه ربط بين أجزاء الموضوع وجعله موضوعا واحدا وان كانت الزوايا التي يرد فيها تختلف من آية إلى اخرى فبمجرد ورود هذا العنصر الاحالي يرجعنا الى المعاني الأولى ويجعلنا نؤلف ونجمع بين آجزاء ء السورة الواحدة. [٧]

*العنصر الموصولي

الاسم الموصول اسم مبهم يحتاج إلى مفسر ،بمعنى أن معناه لا يتم بنفسه وإنما يفتقر إلى كلام بعده تصله به ليتم اسما[٨] ويحتاج إلى عائد يربطه بما قبله ولذلك أشبه الحرف بالافتقار إلى غيره [٩] وهو معرفة غير

١- ق ٣٢ .
٢- ينظر الواضح ،ابي بكر الزبيدي ١٣٠.
٣- ينظر بدائع الافكار ميرزا هاشم الآملي ٧٢/١.
*الاخفش وابن مالك وابو علي الفارسي .
٤- ينظر اللمحة البدرية ،ابن هشام ٢٢٩/١.
٥- ينظر اقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة د،فاضل الساقي ١١٦.
٦- ينظر شرح المحسبة ابن بابشاذ ١٧١-١٧٨ وهمع الهوامع السيوطي ٥٢/١.
٧.ينظر الخصائص ابن جني ٣٢١/١.
٨.ينظر اسرار اللغة ،ابراهيم أنيس ١٩٢-١٩٣.

ISSN-1994-697X

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

نكرة ولكن النحاة اختلفوا في درجة تعريفه فبعضهم * عده بدرجة الاسم المعرف ب(ال) وبعضهم عده برتبة المضاف.[١]

ا ما المحدثون فقد عدوه في رتبة الضمير[٢] ولكننا نرجح أن يكون في رتبة المضاف وذلك لان الاسم النكرة يكتسب التعريف من الإضافة والاسم الموصول لافتقاره إلى ما بعده فهو بمثابة المضاف ومثل ما تفيد الإضافة معنى التخصيص فالموصول مجمل مبهم لا يتخصص معناه الا بما بعده وهذه الأسماء لا تكون إلا مبنية لشبهها الحرف بلازم الافتقار إلى غيرها .

الوظيفة اللغوية

عد القدماء الأسماء الموصولة وسيلة لوصف المعارف بالجمل [٣] أما المحدثون فحاولوا التوسع عن هذا فالدكتور إبراهيم أنيس يجعل الموصولات روابط تربط بين الجمل وفي الوقت نفسه هي رموز لغوية يستعاض بها عن تكرار الأسماء الظاهرة ولكل اسم من ها استعمالها الخاص فالقدماء اقتصروا على الجانب الشكلي والمحدثون اعتمدوا على الجانب الدلالي لهذا العنصر ولذلك قالوا انه (رمز كنائي) ،أي انه يحمل في داخله معنى أو مفهوم جمل متعددة وبهذا يكون الموصول وسيلة لاختزال اللفظ وعدم التكرار واحد الروابط اللغوية المهمة التي تسهم في بناء النص.

للعنصر نماذج تطبيقية الموصولي في سورة (ق)

نحاول في هذا المبحث ان نبين العلاقة الوثيقة بين الشكل والدلالة التي تستنتج من ذلك الشكل واعني بالشكل التركيبي الذي يأتي عليه النص ولقد وردت في سورة (ق) صور عديدة للاسم الموصول واعني بالصور نوع الموصول وطبيعة استعماله مرتبطا بالصلة التي توضحه وطبيعة استعماله مرتبطا بالصلة التي توضحه وتبين معناه إذ أن لنوع الصلة أثرا كبيرا في إظهار الدلالة المرادة منه فالصلة عندما تكون.

جملة اسمية تختلف عن كونها فعلية فضلا عن ارتباط هذا العنصر الاحالي مع عناصر احالية اخرى كالإشارة ففي قوله تعالى ((قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ))[٤]ونلالحظ ان العنصر الاحالي (ما) يعود على متقدم (تنقص الأرض) ثم اتصال المفسر بضمير يعود على محال اليه متأخر فالبنية التركيبية لهذا العنصر عند تجريدها كالآتي : العنصر الاحالي + مفسر متقدم للموصول +ضمير يعود على متأخر يربط الموصول به فجملة تنقص الأرض متصلة أو مفسرة ل (ما) أما الضمير (هم) في (منهم) فقد ربط الموصول وصلته بما سبقه من معنى وهنا تعود على الكافرين وهكذا فان الاتيان بهذا العنصر يستلزم الإتيان بعنصر احالي آخر فالموصول يحيل الى كلام يقع بعده والضمير يربطه بكلام قد سبقه ومنه قوله تعالى)) لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ))[٥] اذ نجد العنصر (ما) + (الفعل) + ضمير يعود على ما سبق فالفعل توسوس فسر لنا إبهام (ما) والضمير المتصل ب(نفسه) ربط الصلة والموصول بالإنسان ولولاه ما عرف الكلام على من يعود وذلك يعني ان أولى الصور الواردة في هذه السورة هي (ما + فعل + ضمير) ولنوع صلة الموصول كما مر دور كبير في إضفاء الظلال الدلالية للنص فالتعبير في الآية الأولى بالجملة الفعلية وكذلك الثانية دليل على الحدوث والانقطاع والتدرج فلكون عملية نقص الأرض لا تحدث بصورة كلية وإنما بصورة استدراجية عبر عنها بالجملة الفعلية الدالة على الحدوث، وكذلك الحال إلى فعل الوسوسة فالإنسان لا توسوس له نفسه باستمرار وفي كل حين وإنما تكون الوسوسة بشكل متقطع وحين يكون الشيطان قريبا منه عبر عنها بالجملة الفعلية التي تدل على الحدوث والانقطاع ٣والحال نفسه مع العناصر الموصولة الواردة في السورة الكريمة إذ أنها تخضع للقاعدة التجريدية السابقة الذكر نفسها

---

١. ينظر النحو العربي قواعد وتطبيق على المنهج العلمي الحديث ، د المخزومي ٥٢-١٥٣ .

(٢) ٤.ق ٤
(٣) ق ١٦
(٤) ينظر البحر المحيط ابو حيان الاندلسي ٤٨٠/١
(٥) ق ٢٣

ISSN-1994-697X

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الا ان دلالتها تختلف باختلاف نوع الصلة فقد وردت صلتها ظرفا كما في قوله تعالى ((وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ)) وقد يتضافر العنصر الاحالي الاشاري مع العنصر الموصولي

في تركيب واحد كما في الاية السابقة وكما في قوله تعالى ((وَجَاءتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ)) ١ فاسم الإشارة (ذلك) يعود على المحيل نفسه الذي يعود عليه الموصول وذلك لعظم الامر المنكر أو المحاد عنه ولتوكيد وقوعه ولادخال عنصر الزمن فيه استعمل (كان) في صلة (ما) وعلى ذلك يكون نسيج النص على الشكل الآتي

عنصر أحالي اشاري يعود على متاخر+عنصر احالي موصولي يعود متقدم +مفسر للموصول المحال اليه المتقدم + ضمير يربط العنصرين بما سبق

وأي نسيج أقوى من ذلك وأي تركيب أبدع من ذلك وقد توفرت فيه أربع عناصر احالية

أهم النتائج

وبعد هذا العرض النظري والتطبيقي لظاهرة الإحالة توصل البحث إلى النتائج الآتية

- تعتبر الإحالة عنصرا لا يمكن الاستغناء عنه من اجل تماسك النص وبنائه
- الإحالة نوعان الإحالة الى متقدم والإحالة إلى متأخر
- ورد عنصر الإحالة (نا) في سورة ق عشرين مرة ،اتصل بالفعل (٣١)مرة (١٢) مرة كان متصلا بالفعل الماضي و(٢) متصلا بالفعل المضارع
- كان المحيل (نا) في سورة(ق) يعود إلى محال إليه خارجي ()خارج النص) الذات لأهمية الإشارة إلى انفراد الله تعالى بهذه الأفعال وليس لأحد غيره القدرة على أن يشاركه فيها باستثناء الآية (٣) التي يعود فيها الضمير على الكفار وفيه إشارة أو تعريف إلى فاعل الموت وهو الله تعالى
- كانت البنية التجريدية لورود هذا العنصر في السورة كالأتي (فعل +نا +فعل+ نا) وهذا التركيب يتناسب مع موقف الكفار في السورة المتمثل في تعجبهم من إرسال رسول منهم إذ أن دلالة التعجب تعبر عن حالة نفسية غير مستقرة ثابتة ودلالة الأفعال تدل على الحدوث والانتقال
- اغلب الأفعال الواردة في السورة كانت متصلة بالضمير (نا) العائد على الذات الإلهية هذا النصر الذي يدل على التفخيم والتعظيم للدلالة على تفرد الله تعالى بهذه الأفعال وفاعلها فضلا عن تناسب هذا التركيب مع الجو العام للسورة الذي يدور حول إثبات عظمة الله تعالى وتفرده
- الضمير (نا) في هذه السورة يعود على مرجع واحد وهذا يجعل جميع آيات السور تشكل آية واحدة تفصل وبدقة قدرة الله تعالى ،ولو عدل عن ذلك لما تمت الصورة ولما أدى اللفظ المعنى المطلوب
- وردت ضمائر الغائب في هذه السورة على شكل قسمين تعمل على بناء وحدة موضوعية ونظمية للحدث المراد إبرازه
- الأول : تعمل على بيان حال الكفار والثاني : يعمل على بيان أدلة وجود الله تعالى
- كانت قواعده التجريدية الواردة في السورة كالآتي

*إن +فعل+عنصر إحالة + اسم +عنصر إحالة آخر ،وفي هذه السورة تكرر ضمير الإحالة بصورتين مختلفتين وهذا فيه تأكيد

*أما الصورة الأخرى : ما+هم+من+هم،وفي هذه الصورة معنى الجنس توكيدا على ان المنذر من غيرهم

- كان الضمير هم الواقع في (عنهم) من قوله تعالى ((يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعاً ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ)) رابطا أول النص بآخره لأن –هم- الواردة هنا يشمل جميع من تحدث عنهم الله تعالى فشملت كل الذوات الواردة في النص المبارك
- الاشارة المتحققة من اسم الإشارة نوعان : حسية ومعنوية وهناك فارق بين البنية الاحالية لكل نوع سواء تعلق ذلك بالمحال إليه أو باتجاه الإحالة
- المعنى الذي يفيده (ها) التنبيه بمعنى الضمائر (خاصة ضمير الشأن)
- تضيف اللواحق لاسم الإشارة معان دلالية لم تكن موجودة فيه قبل اتصالها به واللواحق الداخلة على هذا العنصر تعتمد في دخولها على المفسر فإذا كان قريبا لم تدخله وان كان متوسطا أو بعيدا دخلت عليه

ISSN-1994-697X

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

- في الاستعمال القرآني نجد اختلافا في دلالة الإشارة للضمير (هذا) والذي تتحدد دلالته طبقا لصورة هذا العنصر وإحالته إلى متقدم أو متأخر فقد يفيد التعظيم أو التفخيم أو التعجب
- انحصرت صورت اسم الإشارة الواردة في سورة(ق) على مستويين هما :الإشارة إلى متقدم أي المفسر يكون سابقا وقد اتخذ إشكالا متعددة داخل النص والإشارة إلى متأخر وقد اتخذ أيضا أشكالا متعددة تكلمنا عنها داخل البحث وبينا دلالاتها
- ورد العنصر الموصولي في السورة المباركة متخذا إشكالا متعددة وهي (عنصر إحالة +مفسر متقدم + ضمير يعود على متأخر يربط الموصول به) والصورة الأخرى هي (ما+فعل +ضمير)
- وفي العنصر الموصولي يكون للصلة دور كبير في اضفاء ظلال دلالية
- أما الصورة الأخرى التي ورد بها هذا العنصر فهي

عنصر أحالي أشاري (يعود على متأخر +عنصر احالي موصولي يعود على متقدم +مفسر للموصول المحال اليه المتقدم +ضمير يربط العنصرين بما سبق

وهذا النوع من النسيج يعد من أروع وأقوى أنواع النظم اذ توفرت فيه أربع عناصر احالية بعضها يرتبط بالبعض الآخر ،وهذا هو شأن النص القرآني الذي يمتاز ببراعة النظم ودقته

- هذا وفي البحث الكثير من الجوانب الدلالية المستنتجة من صور أخرى لم ترد في النتائج وإنما ذكرت في طيات البحث.

Urgent

ISSN-1994-697X

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com